

رسالة البابا فرنسيس لزمن الصوم الأربعيني

يشير البابا فرنسيس إلى أن "الصوم هو الزمن المناسب لنتجدد من خلال لقائنا بال المسيح الحي في كلمته، عبر الأسرار والقريب"، مذكراً في رسالة الصوم للعام 2017 إلى أنه دعوة قوية إلى التوبة "كي لا نكتفي بحياة سطحية". ننقل إليكم في ما يلي النص الكامل لرسالة قداسة البابا.

2017/02/21

أيها الإخوة والأخوات،

زمن الصوم هو بداية جديدة، طريق تؤدي إلى هدف أكيد: فصح القيامة، انتصار المسيح على الموت. ويوجه لنا هذا الزمن دوماً دعوة قوية إلى التوبة: المسيحي مدعواً للعودة إلى الله "بكل قلبه" (را. يو 2، 12)، كي لا نكتفي بحياة سطحية، إنما ننمو بالصدقة مع رب. يسوع هو الصديق المخلص الذي لا يتخلى عنا أبداً، لأنه ينتظر بصبر أن نعود إليه، حتى عندما نخطئ، ويظهر عبر هذا الانتظار، استعداده للغفران (را. عضة خلال قداس الإلهي، 8 يناير / كانون الثاني 2016).

زمن الصوم هو الزمن المناسب لتكثيف حياة الروح عبر الوسائل المقدسة التي تقدمها الكنيسة: الصوم، والصلوة،

والصدقة. أساس كلّ شيء كلمة الله، التي نحن مدعوون إلى الاصغاء إليها والتأمل بها باجتها د أكبـرـ. أودـ التوقف هنا، عند مثل الرجل الغني ولعاـزـرـ الفقر (را. لو 16، 19 - 31). لنسـتـلـهمـ من هذه الصفحة المهمـةـ، التي تقدـمـ لنا مفتاح فهم كيفية التصرـفـ كـيـ نـتوـصـلـ إلى السـعادـةـ الحقـ والـحـيـاـةـ الأـبـدـيـةـ، وتحضـنـناـ عـلـىـ تـوـبـةـ حـقـيقـيـةـ.

1. الآخر هو عطية

يبـدـأـ المـثـلـ بـتـقـديـمـ الشـخـصـيـتـيـنـ الأسـاسـيـتـيـنـ، ولكنـ الفـقـيرـ هوـ منـ يـتـمـ وـصـفـهـ بـطـرـيـقـةـ مـفـصـلـةـ:ـ إـنـهـ فيـ حـالـةـ يـائـسـةـ وـلـاـ قـوـةـ لـهـ لـاستـرـدـادـ عـافـيـتـهـ؛ـ إـنـهـ مـلـقـىـ عـنـدـ بـابـ الـغـنـيـ وـيـأـكـلـ مـنـ الـفـتـاتـ الـذـيـ يـسـقطـ مـنـ مـائـدـتـهـ، الـقـرـوـحـ تـغـطـيـ جـسـمـهـ وـالـكـلـابـ تـأـتـيـ وـتـلـحـسـهـاـ (را. الآيات 20 - 21). الصـورـةـ هيـ بـالـتـالـيـ قـاتـمةـ وـالـرـجـلـ مـهـانـ وـمـذـلـولـ.

والمشهد يصبح أكثر دراماتيكية إن اعتبرنا أن الفقير يدعى لعاذر: اسم يحمل العديد من الوعود، ويعني حرفياً "الله يعين". لذا فهذا الشخص ليس مجهولاً، ملامحه واضحة ويظهر كفرد يرتبط بقصة شخصية. وبينما يبدو غير مرئي بالنسبة للغني، فهو بالنسبة لنا ملحوظ وملوّف تقريراً، إنه وجه: وكوجه، إنه هبة، وكنز لا يُقدر بثمن، كائن مرغوب فيه، ومحبوب، موجود في ذاكرة الله، حتى وإن كان وضعه هو وضع رفض بشرى (را. عظة خلال القدس الإلهي، 8 يناير/كانون الثاني 2016).

يعلّمنا لعاذر أن الآخر هو عطية. العلاقة الصحيحة مع الأشخاص تقتضي الاعتراف بقيمتهم بامتنان. فالفقير على باب الغني ليس حملاً مزعجاً، إنما دعوة إلى التوبة وإلى تغيير حياتنا. أول دعوة يوجّهها إلينا هذا المثل هي الدعوة إلى فتح باب قلباً للآخر، لأن كلّ شخص هو

هبة، أكان قريباً أم الفقير المجهول. والصوم هو الزمن الملائم لنفتح الباب لكلّ مُحتاجٍ ونرى فيه أو فيها وجهَ المسيح. كلّ منا يلتقي بهم في مسيرته الشخصية. كلّ حياة نلتقي بها هي عطية، وتستحق الاستقبال والاحترام والمحبّة. كلمة الله تساعدنَا على فتح أعيننا لمستقبل الحياة ونحبّها، وخاصة عندما تكون ضعيفة. لكن كي يكون باستطاعتنا أن نصنع هذا فمن الضروري أن نأخذ على محمل الجد كلّ ما يكشفه لنا الإنجيل بشأن الرجل الغني.

2. الخطيئة تعينا

المثل لا يرحم في إشارته إلى التناقضات التي تحيط بالرجل الغني (را. آية 19). هذا الرجل، على عكس لعاذر المسكين، ليس له اسم، ويتم وصفه كرجل "غنيّ" وحسب. ويظهر ترفه في الثياب التي يرتديها، ترف مبالغ فيه. الأرجوان كان ثميناً للغاية،

أكثر من الفضة والذهب، لذا فكان مختصاً بالآلهة (را. إر 10، 9) والملوك (را. قض 8، 26). والكتان الناعم كان نوعاً خاصاً من الكتان يساهم في إعطاء الملبس طابعاً شبه مقدّس. غنى هذا الرجل هو بالتالي مبالغ فيه، لأنه يظهر أيضاً يومياً، بشكل اعتيادي: "ويَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ تَنَعِمًا فَاخِرًا" (آية 19). يمكننا أن نرى من خلاله وبقوة، فساد الخطيئة، الذي يتحقق في ثلاثة أوقات متتالية: حب المال، الغرور والكبرياء (را. عظة خلال القدس الإلهي، 20 سبتمبر/أيلول 2013).

يقول بولس الرسول أن "حُبّ المال أصلٌ كُلِّ شَرٍ" (1 طيم 6، 10). فهو الدافع الأساسي للفساد ومصدر الحسد، والخلافات والشكوك. وقد يتوصل المال إلى السيطرة علينا، لدرجة أن يصبح وثناً استبدادياً (را. الارشاد الرسولي فرح الإنجيل، 55). وبدل أن يكون أداة في خدمتنا للقيام

بأعمال خير وعيش التضامن مع الآخرين، يستطيع المال أن يستعبدنا ويستعبد العالم بأسره في منطق الأنانية الذي لا يترك المجال للمحبة ويعيق السلام.

يرينا المثل من ثم أن جشع الغني يجعله مغروراً. وتحقق شخصيته عبر الاهتمام بالمظاهر، عبر إظهاره للآخرين كل ما بقدراته. ولكن المظاهر تحجب الفراغ الداخلي. حياته هي سجينه المظاهر، البعد الوجودي الفاني والأكثر سطحية (را. نفس المرجع، 62).

والدرجة الأدنى لهذا التدني هو الكبراء. الرجل الغني يلبس كما لو كان ملك، ويتشبه بمظهر الآلهة، ناسياً أنه مجرد إنسان بشريّ. بالنسبة للرجل الذي أفسده حبّ الغنى لا يوجد إلا إلّا أنا، لذا فهو لا يرى الأشخاص الذين يحيطون به. ثمرة التعلق بالمال هو وبالتالي نوعٌ من العَمَى: الغني لا يرى

الفقير الجائع، المغطى بالقروح
والملقى في ذلّه.

إذ ننظر إلى هذا المثل، نفهم لماذا يدين الإنجيلُ حبَّ المال بهذا الوضوح: "ما مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيغُ أَنْ يَعْمَلَ لِسَيِّدَيْنِ، لَأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الْآخَرَ، إِمَّا أَنْ يَلْزِمَ أَحَدَهُمَا وَيَزْدَرِيَ الْآخَرَ." تَسْتَطِيغُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِللهِ ولِلِّمَالِ" (متى 6، 24).

3. الكلمة هي عطية

إن إنجيل الغنيّ ولعاذر المسكين يساعدنا لنتحضر لعيid الفصح الذي يقترب. وتدعونا ليتورجيا أربقاء الرماد إلى عيش اختبار شبيه بالاختبار الذي عاشه الغني. يردد الكاهن وهو يضع الرماد على الجبين الكلمات التالية: "اذكر أنك من تراب وإلى التراب تعود". في الواقع يموت كلّ من الغني والفقير والجزء الرئيسي من المثل يجري في الآخرة. وتكشف الشخصيات فجأة أننا

"لَمْ تَأْتِ الْعَالَمُ وَمَعَنَا شَيْءٌ، وَلَا
نَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ وَمَعَنَا شَيْءٌ" (1)
طيم 6، 7.

ويُنفتح نظرنا أيضًا على الآخرة، حيث يدور حوار طويل بين الغني وابراهيم، الذي يدعوه "يا أبتي" (لو 16، 24. 27)، مبيّناً انتقامته إلى شعب الله. وهذه الميزة تجعل حياته أكثر تناقضًا، لأن النصّ لم يذكر شيئاً عن علاقته مع الله حتى الآن. في الواقع، لم يكن هناك مكان لله في حياته، فإلهه الوحيد هو نفسه.

يتعرّف الغني على لعازر وسط عذابات الآخرة فقط ويتمتّى لو أن المسكين يخفّف من آلامه بالقليل من الماء. الأعمال المطلوبة من لعازر تشبه تلك التي كان باستطاعة الغني أن يعمّلها ولم يقم بها أبدًا. لكن ابراهيم يفسّر له: "يَا بُنْتَيَّ، تَذَكّرْ أَنّكَ نَلَتْ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَنَالَ لَعَازْرُ الْبَلَابِلَا. أَمّا الْيَوْمَ فَهُوَ هُنْدًا يُعَزِّي وَأَنْتَ تُعَذَّبْ" (آية 25). ففي

الآخرة يُقام الإنصاف والخير يعادل
شَرُورَ الْحَيَاةِ.

ويتابع المثل مقدماً رسالة للمسيحيين عامة. في الواقع، الغنيّ، الذي ما زال لديه إخوة أحياء، يسأل إبراهيم أن يرسل لهم لعاذر كي ينصحهم؛ لكن إبراهيم يجيب: "عندَهُمْ موسى وَالْأَنْبِيَاءُ، فَلَيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِمْ" (آية 29). وإزاء اعتراض الغني، يضيف: "إِنْ لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى موسى وَالْأَنْبِيَاءِ، لَا يَقْتَنِعُوا وَلَوْ قَامَ وَاحِدٌ مِّنَ الْأَمْوَاتِ" (آية 31).

وتظهر بهذه الطريقة مشكلة الغني الحقيقية: أساس كل شروره هو عدم الإصغاء إلى كلمة الله؛ وهذا ما قاده إلى الابتعاد عن حب الله وبالتالي إلى ازدراء القريب. إن كلمة الله هي قوّة حيّة، قادرة على أن تولّد التوبة في قلوب البشر وأن توجّه الشخص مجذّداً نحو الله. فنتيجة غلق القلب على عطية

الله الذي يتكلّم، هي غلق القلب على
عطية الآخر.

أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، الصوم هو
الزمن المناسب لتجدد من خلال لقائنا
بالمسيح الحيّ في كلمته، عبر الأسرار
والقريب. الرب -الذي تغلّب على مكاييد
الشرير طيلة الأربعين يوم في البرية-
يدلّنا على الطريق الذي يجب اتخاذها.
وليرشدنا الروح القدس لنحقق مسيرة
توبية حقيقية، كي نكتشف من جديد
عطية الكلمة الله، ونُظَهَّر من الخطيئة
التي تعミينا، ونخدم المسيح الحاضر في
الإخوة المحتاجين. إني أشجّع كلّ
المؤمنين على التعبير عن هذا التجدد
الروحي عبر المشاركة أيضًا في حملات
الصوم الكبير التي تعزّزها الكثير من
المنظمات الكنسية في مختلف أنحاء
العالم، كي تنمو ثقافة اللقاء في الأسرة
البشرية الواحدة. لنصلّ ببعضنا البعض
كي نعرف، ونحن شركاء انتصار المسيح،
كيف نفتح أبوابنا للضعيف وللفقير.

يمكننا حينها أن نحيا ونشهد بالملء
لفرح القيامة.

(نقلًا عن موقع الفاتيكان).

pdf | document generated automatically
[/https://opusdei.org/ar-lb/article from](https://opusdei.org/ar-lb/article from)
(2026/01/10) /risalat-zaman-al-sawm